دلالة لفظ الحقيقة في لسان العرب، ثم دلالته عند الصوفية.

قال أبو المُثلِّم (وهو شاعر هُذلى مُخضرم) يرثي صخرَ الغيِّ الهذلي :

حامي الحقيقةِ نسّالُ الوديقة معتاقُ الوسيقةِ جَلْدٌ غيرُ ثِنيان

قال الأزهري : تقول العربُ: فلانٌ يسوق الوسيقةَ، وينسِلُ الوديقةَ، ويحمي الحقيقةَ، فالوسيقةُ الطريدة من الإبل، سُميت وسيقة لأن طاردَها يسِقها إذا ساقها، أي يقبضُها، والوديقةُ شدةُ الحر، والحقيقةُ: ما يحقُّ عليه أن يحميه، وقال أبو عُبيد وغيره: الحقيقةُ الرايةُ، وقيل : حقيقةُ الرجلِ : ما يلزمه حفظُه ومنعُه، و روى أبو العبّاس عن ابن الأعرابي، قال : الحقيقة : الرايةُ، والحقيقةُ : الحُرمةُ، والحقيقةُ : الفِناءُ، وقال الليثُ: حقيقةُ الرجل: ما يلزمه الدفاع عنه، وجمعه حقائق. انتهى

وقال عامرُ بن الطفيل :

لقد علِمتْ هوازنُ أنني أنا الفارسُ الحامي حقيقةَ جعفرِ

وجعفرُ هو أبو جَدِّه، فهو عامرُ بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وحقيقةُ جعفر هي: نساءُ آل جعفر، وديارهم ورايتُهم وما يحق عليهم أن يحموه، ويُدافعوا عنه.

وقال لبيدُ بن ربيعة:

أتيتُ أبا هندٍ بهندٍ ومالكا بأسماءَ، وإني من حُماةِ الحقائقِ

وقال عنترةُ في مُعلقته:

ومِشَكِّ سابغةٍ هتكتُ فروجها بالسيف عن حامي الحقيقةِ مُعْلَمِ

وقال عبيدُ بنُ الأبرص:

نحمي حقيقتَنا وبعضُ القومِ يسقطُ بينَ بينا

وقال عبيدُ بن الحُرِّ، وقد أخرج امراته من السجن :

ألم تعلمي يا أُمَّ تَوبَةَ أنني أنا الفارسُ الحامي حقائق مَذحجِ

وقال جريرٌ :

بكرٌ أحقُّ بأن يكونوا مَقنعا أو أن يَفوا بحقيقة الجيرانِ

(مقنعا) يعني أن يكونوا عدلا بين الناس يرضى الناسُ بحكومتهم.

قال الفرزدق:

ولم تمنعوا يومَ الهُذيل بناتكم بني الكلبِ والحامي الحقيقةِ مانعُ

قال حسان بن ثابت :

ففروا وشدَّ اللهُ رُكن نبيه بكُل فتى حامي الحقيقةِ باسلِ

وقال الكُميتُ:

نحمي حقيقتَنا ونُدركُ حَقنا إذا اجتمع الجماجمُ مِجْهرُ

وفي تلك الأشعار ونحوها ما يدل على أن (الحقيقة) في لسان العرب : هي ما يحق على الرجل أن يحميه ويدفع عنه من النساء والديار والراية وغيرها .

وقولهم : حامي الحقيقة هو أكثرُ ما يُذكر فيه لفظ (الحقيقة)، وقليلا ما يُذكر مع غيره.

وقال الأزهريُّ: وقال الليثُ: والحقيقةُ ما يصيرُ إليه حقُّ الأمر ووجوبه، تقول: أبلغتُ حقيقة هذا الأمر، تعني : يقين شأنه .

لكن: لم يذكر شاهدا من كلام العرب على ذلك .

وقال السرخسيُ في أصوله : الحقيقةُ مأخوذة من قولك : حقَّ يحقُّ فهو حقٌّ و حاقٌّ وحقيقٌ .

وقال الرازي في (المحصول) : الحقيقةُ فعيلةٌ من الحق، والحق في اللغة هو الثابتُ ، والفعيلة قد تكون بمعنى المفعول، وقد تكون بمعنى الفاعل، فعلى التقدير الأول معنى الحقيقة : المُثبتَة، وعلى التقدير الثاني: الثابتة .. إلى آخر كلامه

وكلاهما كذلك لم يأت بشاهد من كلام العرب على ذلك، إنما مجرد قياس، والقياس في الألسنة باطلٌ.

دلالة لفظ ((الحقيقة)) عند الصوفية :

قال الحارثُ المُحاسبيُّ : ((التقوى حقيقتُها في الجوارح : القيامُ بالحق وتركُ المعاصي، وحقيقتُها في الضمير : إرادةُ الدَّيّان في الفرض، وإخلاصُ العمل له في النّفل)) .

وقال : ((فأصلُ الكِبر: التعظيم، وحقيقتُه الأنف، وازدراء العِباد، ورَدُّ الحق بعد علمٍ به)) من كتاب (الرعاية لحقوق الله) .

وروى السُّلميُّ في (طبقات الصوفية) عن معروف الكرخي، قال : حقيقةُ الوفاء : إفاقةُ السِّر عن رَقدة الغفلات، وفراغ الهَمّ عن فضول الآفات .

وعن أحمد بن خضرويه، قال : ((حقيقةُ المعرفة : المحبةُ له بالقلب، والذكر له باللسان، وقطع الهِمّة عن كل شيء سواه)) .

وعن أبي تراب النخشبي، قال : ((حقيقةُ الغِنى أن تستغني عمّن هو مثلك، وحقيقة الفقر أن تفتقر إلى من هو مثلك))

وعن أبي عمرو الدمشقي، قال : ((حقيقةُ الخوف ألّا تخاف مع الله أحدا))

وعن أبي يعقوب النهرجوري ، قال : ((حقيقةُ الصدق: القولُ بالحق في مواطن التهلكة))

وعن أبي محمد بن خفيف : ((حقيقةُ الإرادة: استدامةُ الكَدِّ، وترك الراحة))

وعن يحي بن معاذ الرازي، قال : ((عند نزول البلاء تظهر حقائق الصبر، وعند مُكاشفة المقدور تظهر حقائق الرضا)) يقصد : يظهر صبرُ الصابرين حقا والراضين حقا وليس ادعاءً.

وعن ابي العباس بن مسروق الطوسي، قال : ((تعظيمُ حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى، وبه يصل العبدُ إلى محل حقيقة التقوى)) يقصد: يقصد إلى حق التقوى.

وقال أبو علي الروذباري، قال : ما ادّعى أحدٌ قط إلّا لِخُلُوّه عن الحقائق، ولو تحقق في شيء لنطقتْ عنه الحقيقةُ، وأغناه عن الدَّعاوَى)) يقصدُ: لخلوه عن نفس ما يدعيه حقا، ولو كان عنده ذلك لظهرتْ عليه بينةٌ أغنتْه عن الدعوى.

وأمثالُ ذلك في كلامهم كثيرٌ، وكلها تدل على أنهم يقصدون بالحقيقة : نفسَ الشيء ، وما هو ذلك الشيءُ حقًا، والطريق عندهم لمعرفة حقائق الأشياء الكشفُ، الذي يأتي برياضات بدعية معرفة عندهم .

وكل ذلك مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم سواءٌ في مصدر العلم أو في البيان عنه أو العمل به .

وفي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم للكِبر أو الإيمان أو الإسلام أو الإحسان أو الغِيبة أو القويّ أو غيره من الألفاظ التي بيّن دلالتها لم يقُل: حقيقتُها كذا .

كما في حديث جبريل عليه السلام حين سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ»، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ»، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» .

وفي حديث وفد عبد القيس لما قالوا له : ((مُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ وَسَأَلُوهُ عَنْ الْأَشْرِبَةِ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ)) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر! فقال رجل: إنَّ الرَّجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟ قال: إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، الكبر: بطر الحقِّ وغمط النَّاس)) .

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)) .

وعنه رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((أتَدرونَ ما المُفلِسُ؟ إنَّ المُفلسَ من أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي وقد شتَم هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعْطَى هذا من حَسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيَتْ حَسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليهِ، أُخِذَ من خطاياهم، فطُرِحَتْ عليهِ، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ)) .

وغير ذلك كثير مصدرُه الوحيُ، وفي بيانه عنه لم يقل : حقيقة كذا : كذا